Carl Popper's Open Society as a Model for The Development and Progress of Societies

Dr. Ibrahim Razzouk*
Zana Ahmed Ibrahim**

(Received 30 / 3 / 2022. Accepted 5 / 9 / 2022)

□ ABSTRACT □

This research attempts to shed light on the most important intellectual, cognitive and political principles and foundations, and the characteristics and features that characterize the open society accordinsg to the German thinker and philosopher Karl Popper (1902-1944), where the contradiction between the open society and the The closed society and the search for mechanisms of transition from a closed society to an open society according to the study of partial engineering, which is a policy technique that political and social reform is partially based on, in contrast to utopian engineering, which is based on total planning, and it is a holistic tendency that aims to change at once and not step by step as He sees it partial geometry.
In addition, the study of rationality, freedom, individualism and egalitarian democracy. Defining the most important features and advantages of the liberal populist open society and its reform mechanism.

Keywords : open society, closed society - totalitarianism - historical. Liberal freedom. Utopia

*Professor - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.
**Masters Student - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.

المجتمع المفتوح عند كارل بوبر كنموذج لتطور المجتمعات وتقدمها

د. إبراهيم رزوق*

زانا أحمد إبراهيم**

(تاريخ الإيداع 30 / 3 / 2022. قبل للنشر في 5 / 9 / 2022)

□ ملخّص □

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على أهم المبادئ والأسس الفكرية والمعرفية والسياسية، والخصائص والسمات التي يتميز بها المجتمع المفتوح عند المفكر والفيلسوف الألماني كارل بوبر (1902- 1944) حيث تم التطرق في هذا البحث إلى التناقض ما بين المجتمع المفتوح والمجتمع المغلق والبحث عن آليات الانتقال من المجتمع المغلق الى المجتمع المفتوح وفق دراسة هندسة جزئية وهي تقنية سياسة يقوم على الإصلاح السياسي والاجتماعي بشكل جزئي مقابل الهندسة اليوتوبية التي تقوم على التخطيط الكلي وهي نزعة شمولية تهدف إلى التغير دفعة واحدة وليست خطوة خطوة كما يرى به الهندسة الجزئية .

وإضافة لذلك دراسة النزعة العقلانية و الحرية و الفردية وديمقراطية المساواة . وتحديد أهم سمات ومميزات المجتمع المفتوح البوبري الليبرالي وآلية اصلاحه .

الكلمات المفتاحية : المجتمع المفتوح ، المجتمع المغلق – الشمولية – التاريخانية . الليبرالية الحرية . اليوتوبيا .

* أستاذ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

**طالب ماجستير– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مقدمة

لا شك أن معظم الفلسفات السياسية المعروفة منذ القدم من أفلاطون وصولا الى ماركس تأثرت بالمنطق وبالعلم و بنظرية المعرفة تأثيراً شديداً وفلسفة بوبر السياسية تأثرت كغيرها من الفلسفات إلى حد بعيد ، بنظرته و منهجه الابستمولوجي حيث عمد هذا المفكر الألماني كارل **ريموند** بوبر (1902 –1944) إلى تأسيس نموذج معرفي قائم القائمة على جملة من المبادئ والأسس الفكرية المعبرة عن نسقه السياسي والاجتماعي، الذي أسماه " المجتمع المفتوح " الذي يشكل برأيه، الأنموذج العملي والناجع والذي يتضمن اقل قدر من الأخطاء التي تتضمنها النماذج الاجتماعية والسياسية الأخرى وإن دفاع بوبر عن المجتمع المفتوح جاء تتمة لنقده لفلسفات القائمة كالتاريخانية والمذاهب السياسية والفكرية الشمولية وهي فلسفات سياسية وتاريخانية معادية للفلسفة السياسية الليبرالية التي تبناها بوبر وبحثنا يهدف إلى تحليل مواقف وأفكار بوبر السياسية والاجتماعية المتنوعة التي عرضها في كتابه (المجتمع المفتوح واعداؤه) والذي طرح من خلالها أفكاره عن الحرية والديمقراطية والشروط الحقيقية لبناء مجتمع علماني مفتوح تتحقق فيه شروط المجتمع المنشود ٠

أهمية البحث واهدافه :

تكمن أهمية البحث في قدرته على تسليط الضوء على أهم الأفكار السياسية والاجتماعية التي دعى اليها بوبر في كتابه (المجتمع المفتوح وأعداؤه) النموذج السياسي الليبرالي الذي تبناه كخلاصة لنقده لفلسفات المجتمع المغلق ومذاهبها الشمولية والنزعات التاريخانية ليصبح المجتمع المفتوح النموذج الأكثر واقعية والبديل الاقل احتواءً على الأخطاء والشرور.

منهجية البحث

تأكيداً على إن موضوع البحث هو الذي يحدد منهجية البحث وحرصاً منا على اتباع منهج علمي نستطيع من خلاله تقديم إجابات مقنعة ومنطقية حول الكثير من المفاهيم والقضايا المطروحة فقد اتبعنا المناهج التالية : المنهج النقدي التاريخي – منهج الوصف والمقارنة . لعلنا نحقق من خلال هذه المناهج الهدف المنشود للبحث.

الدراسات السابقة

هناك دراسات متعددة (ماجستير – دكتوراه) تناولت فلسفة كارل بوبر ومن أهم هذه الدراسات :

1- رسالة دكتوراه للطالب ماهر اختيار من جامعة تشرين بعنوان " معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر " عملت هذه الدراسة على تكذيب المفاهيم والقضايا العلمية الزائفة والبحث عن بديل لهذا القضايا والنظريات . وهذه الدراسة بعيدة عن بحثنا ولا تمسه نهائيا ٠

2- دراسة للطالب محمود حسن من جامعة تشرين وهي عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان : إشكالية المعرفة بين الذاتية والموضوعية (كارل بوبر نموذجاً) يتناول هذه الدراسة عدة قضايا اهمها :

المعرفة الإنسانية وحدودها الابستمولوجية – المعرفة الذاتية ومقاصدها الأبستمولوجية وعدة قضايا اخرى .

وهذا البحث بمفرداته ومفاهيمه بعيد كل البعد عن بحثنا الذي يتناول الجانب السياسي من فلسفة كارل بوبر.

3- دراسة للطالبة نغم محمود من جامعة تشرين وهي دراسة ماجستير بعنوان : فلسفة بوبر النقدية وابعادها المعرفية والاجتماعية والسياسية . هذه الرسالة يتداخل بشكل جزئي من ناحية المنهج النقدي . مع بحثنا لكن بعيدة إلى حد كبير بمفاهيمها وقضاياها واهدافها عن موضوع بحثنا .

4- دراسة للدكتور ابراهيم رزوق : وهي عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان : منطق تطور النظرية العلمية بين المرحلتين العادية والثورية . يبحث فيها عن القضايا العلمية والمنهجية ودورها في تطور المعرفة البشرية وهذه الرسالة بعيدة عن موضوع بحثنا .

المناقشة :

استطاع بوبر من خلال منهجة النقدي العقلي أن يدحض مفهوم التاريخانية ومفاهيم الشمولية السياسية والفكرية، وقد استخدم بوبر منهجه النقدي العقلي في نقد الواقع الاجتماعي في أوروبا وغيرها من الدول بهدف بناء مجتمعات مفتوحة تتميز بالحرية الفردية الليبرالية البعيدة كل البعد عن التعصب والتحجر الديني والعادات القديمة والإيمان بحرية الفرد والسماح للفرد أن يعبر عن أفكاره ومواقفه دون أي حاجز أو عوائق. فهو مجتمع منفتح بكل القيم التي يؤمن بها عكس المجتمع المغلق المتحجر بعاداته وتقاليده.

ففي المجتمع المفتوح هناك تعددية سياسية تميز طبيعة النظام السياسي الذي يؤمن بالديمقراطية والليبرالية، وسمة هذا المجتمع التركيز على الحرية الفردية الليبرالية *[1] ودور الفرد في بناء المجتمع.

يرى بوبر بأن المجتمع المفتوح نموذج لتطور المجتمعات وإنتقالها من مجتمعات مغلقة الى مجتمعات مفتوحة علمانية وطرح الكثير من القضايا السياسية والفكرية الحديثة وانتقد مفاهيم اصبحت من الماضي كالتاريخانية والمذاهب السياسية الشمولية والفكرية وقام بتطبيق أفكاره العلمية على النظرية السياسية والاجتماعية، مؤكدا بأن " اليقين لا وجود له في السياسة مثلما هو لا وجود له في العلم ومن ثم فإن فرض وجهه نظره واحده من الرأي هو أمر لا مبرر له واسوأ صور المجتمع الحديث جميعاً هي تلك المجتمعات التي تفرض تخطيطاً مركزياً ولا تسمح بالمعارضة، فالنقد هو الطريق الرئيسي الذي يمكن فيه تفتيح السياسات الاجتماعية قبل تنفيذها وملاحظة النتائج غير المرغوبة هي واجب بسبب تعديل السياسات أو لنبذها بعد أن يتم تنفيذها"[2].

يتبين من ذلك أن المجتمع الذي يسمح بالمعارضة والحوار النقدي هو ما يسميه بوبر المجتمع المفتوح، والذي سيكون بالتأكيد أقدر على حل المشكلات العلمية لصناع السياسات من المجتمع الذي لا يسمح بذلك وسيكون تقدمه أسرع وأقل تكلفة في السياسة إذن كما في العلم نحن نتخلى على الأفكار الراسخة لصالح ما نتوسع فيه أنه الأفضل والمتجمع أيضاً في تغير دائم ومعدل التغير في زيادة مطردة وإذا كان الامر كذلك فإن خلق حالة مثالية للمجتمع والابقاء عليها ليس هو الخيار الأفضل لنا وواجبنا هو أن نتحكم في عملية التغير المستمر الذي لا يتوقف عند حد، لذا فإن شغلنا الشاغل هو حل المشكلات التي ظهرت والبحث الدائم عن أسوأ الشرور الاجتماعية ومحاولة إزالتها.

"فالبحث عن المجتمع الكامل والفاضل هو مسألة غير قابلة للتحقق، وعلى الأقل في الأمد المنظور من عمر البشرية وتطورها لذلك يكون البحث عن النموذج الأقل احتواء للسلبيات والمعوقات والتي تمنع من تكريس المبادئ التي يسعى

---

[1] * الليبرالية : نظرية سياسية ترى أن الحرية أساس التقدم فتعارض السلطة المطلقة سواء أكانت دنيوية أو دينية – مراد وهبة المعجم الفلسفي ، دار قباء ، (القاهرة مصر) ،(د،ط) 2007 م ص 539.

[2] مصطفى عادل: كارل بوبر مئة عام من التنور ونظرة العقل ، ط1 ، بيروت ، دار النهضة العربية ،2002 ص 209.

إليها المجتمع المفتوح في غاية الأهمية، لأن كارل بوبر يحاول أن يبحث عن الفضاء الاجتماعي الذي يحتوي على أقل الخسائر من زاوية البحث الاجتماعي السياسي"[3].

إن الواقعية التي ينطلق منها بوبر في تشخيصه للمجتمع المفتوح تأتي من المقارنة الضدية بينه وبين المجتمع المغلق، فالسلبيات التي تهيمن على المجتمع الأخير ،وغياب التفكير العقلاني والحريات العامة عن أفراده والاستبداد السياسي وسيطرة الوسائل العنيفة والدموية في تناول السلطة وغيرها الكثير من الدوافع التي تمنح المجتمع المفتوح مزيداً من الجاذبية والأهلية للسعي تجاهه ،كما لا ينبغي إغفال بأن العالم يقسم إلى نصفين وعلى دول العالم أن تتدرج تحت مظلة أحدهما وناهيك عن مسألة العنف في الفكر الماركسي الذي تبناه بوبر في بداية نشأته ثم تخلى عنه وأصبح ميالاً للعقلية النقدية ورفض العنف وتسويغاته كلها أسهمت في جعله يميل الى اتخاذ المجتمع المفتوح نموذجاً انطلاقاً من خاصية البحث عن أهون البدائل و أقلها عنفاً ومنعاً للحريات.

إن التقابل الذي جعله بوبر بين هذين المجتمعين تأتي من البحث عن مخرج من ضاغطين أساسيين [4].

أولاً: السعي نحو التنظير لبديل عملي تمكن من النجاح وإن كان نجاحاً محدوداً على الواقع في مقابل البدائل الاشتراكية أو النازية أو الفاشية.

وثانياً: الابتعاد عن التنظيرات والطروحات غير الواقعية التي تهرب من الواقع ومشاكله تجاه اليوتوبيا *[5] والخيال وبناء المجتمعات الافتراضية التي لا توجد مؤشرات تضمن إمكانية تحقيقها في الواقع في قادم الايام ولو على مستوى الأمد البعيد ،ومن هنا يمكن القول إن حالة الضدية الماثلة بين شقي المجتمعين المفتوح والمغلق تقوم عند كارل بوبر على جدلية المنحى الثابت والأخر المتغير ضمن ثنائية الفضاء الضامن للحريات والقائم على النزوع النقدي العقلاني والابتعاد عن الحتميات والمثاليات التنظيرية وفضاء التابوات المستكثرة المتقومة بالمنع والتراتبيات الطبيعية كالنسب والقلبية وهيمنة الثبات الدائم لهذه التراتبيات التي تمنع بناء علاقة متفاعلة بين أفراد المجتمع ،ما يؤدي إلى تغيب الخاصية الفردية لحساب الخاصية الجمعية التي تنسب كل جزي وتعدمه لصالح ماهو جمعي بشكل قهري لا يقبل النقد أو النقاشات البناءة.

فالمجتمع المفتوح عند بوبر الأنموذج الواقعي ضمن النماذج العملية المتاحة على أرض الواقع " "ففي المجتمع المفتوح هناك إمكانية للنقاش الحر وهذا النقاش بالتأكيد له دور فاعل في السياسة ومسائلها بخلاف المجتمع، المغلق الذي توصد الأبواب كافة يوجه أية نقاشات حرة تسعى إلى إعادة موضعة السلبيات و المسالب الحاصلة في الشؤون العامة. فوجود مؤسسات فعالة في المجتمع المفتوح هدفها حماية الحرية في هذه المؤسسات تمثل سلطة الدولة وقوتها وتهدف إلى حماية المواطنين من السلطة التعسفية عند هذه المؤسسات الاجتماعية والقانونية "[6] وتقدم حلول المشكلات، وحيث أن حل المشكلات يستلزم الطرح الجريء للحلول المقترحة التي توضع عندئذ على محك الاختبار النقدي لاستبعاد الحلول الفاشلة ونبذ الأخطاء، فإن أصلح المجتمعات هو ذلك الذي يسمح بالاختلاف ويصغي الى شتى الاراء، ويتبع

---

[3] بوبر كارل : المجتمع المفتوح واعداؤه . ج 1 ، ترجمة السيد نفادي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان ، ط1 ، 1998ص288.

[5] اليوتيوبيا : هي الطريقة القائمة على تمثيل حالة وهمية كأنها متحققة بكيفية ملموسة ، أما للحكم على ما تضمنه من نتائج ، وإما لتبين مدى فائدة تلك النتائج . (اندرى لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ت: أحمد خليل أحمد ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس)ط2 2001م ، ج2 ص .1518.

[6]Karl popp and Herbert Marcuse , Revolution or Reform .Editedby . A.T.ferguson , 2 nd Edition 1985 ,NEW university press London , p78.

ذلك بعملية نقدية تفضي إلى أماكن حقيقي للتغير في ضوء النقد، إ إن مجتمعاً يتم تنظيمه وفقاً لهذه التوجهات سيكون أقدر من غيره على حل مشكلاته ويكون أكثر نجاحاً في تحقيق أهدافه مما لو نظمت وفقاً لتوجهات اخرى ،" أما الفكرة الرائجة التي تقول بان اكثر المجتمعات كفاءةً من الوجهة النظرية على الأقل هي تلك التي تتخذ شكلاً ما من الديكتاتورية فهي فكرة خاطئة ،فالدول التي حققت أعلى مستويات المعيشة لأفرادها هي جميعاً ديمقراطيات ليبرالية"[7] لذلك يصف بوبر المجتمع الليبرالي بأنه مجتمع مفتوح وبأنه مجتمع تعددي تسود فيه الحرية وتهيمن على مساره العقلية النقدية التي لا ترتضي بالمسلمات دون نقاش أو تمحيص، إضافة للمشاركة الفاعلة التبادلية في الشأن السياسي العام " إذ يكافح أعضاء كثيرون في المجتمع المفتوح من أجل الصعود الاجتماعي ،واحتلال أمكنة أعضاء أخرين[8].

وهذا يوضح حقيقة تداول السلطة السلمي بعيداً عن ميكانزمات العنف والثورات الصورية والانقلابات، ولكي نفهم حقيقة المجتمع المفتوح عند كارل بوبر لا بد من توضيح المبادئ الأساسية التي يقوم عليها هذا المجتمع هذه المبادئ التي يستند عليها المجتمع المفتوح هي التي تجعلها نموذجاً مثالياً وكذلك أساساً لتطور المجتمعات البشرية.

أولاً اقترح بوبر مفهوم الهندسة الاجتماعية التدريجية: كإحدى أهم المبادئ التي يقوم عليها المجتمع المفتوح وتتضمن هذه الهندسة المؤشرات السلبية والمناقضة للمجتمع المغلق اليوتيوبي ،فإذا كانت الأخيرة تنطلق من محورية الماضي عبر استنتاج قوانين التاريخانية وجعل هذا المحور المسار العام الذي يتم وفقا له رسم خارطة المستقبل لمصير المجتمع، فان الهندسة الجزئية تمتاز بالنظرة الآنية النظرة التي تسعى لقراءة الماضي لكن لا ليكون الماضي حاكماً على الحاضر وسجنا للمستقبل بقدر ما تتم عملية الاستلهام من الماضي لتجنب اخفاقاته اثناء بناء الحاضر لذلك هل تفترض الهندسة الجزئية بأنها تسعى الى بناء هذا النظام في حاضر عملها، او كرؤية مستقبلية ساعية اليه؟ يجيب بوبر باننا في البداية علينا أن نتفق على السياق العام للفكرة فما تؤمن به الهندسة اليوتيوبية من قواعد لا تؤمن بها الهندسة الجزئية إنها لا تنشغل بهذه الفكرة هي تعتني كثير بالبحث عن النظام السياسي المثالي بقدر سعيها إلى البحث عن نظام سياسي ينطوي على أقل مستوى من السلبيات، فالعدل لا يتعلق بالبحث عن الأفضل على الاطلاق، وانما عن الأفضل المتحقق والمتاح يقول بوبر " ازعم ان عالمنا الغربي الديمقراطي ليس افضل العوالم السياسية التي عرفنا وجودها تاريخيا"[9] وهكذا يبدو إن القضية هنا يتعلق تفعيل عملية بناء حاضر يتلائم مع النزوع الانساني الحر في التعامل مع مسائل الشأن العام وجدلياته يرى بوبر "بأن المهندس التدريجي لا يوجد عند هاجس في البحث عن اجابات للأسئلة المتعلقة بالميول التاريخية أو مصير الانسان، اذ يعتقد هذا المهندس إن الانسان هو سيد مصيره الخاص"[10] هذا الانشغال المتعلق بالواقع الراهن جعل من بوبر يقارب الهندسة التدريجية بالفيزيقيا في مقابل الميتافيزيقيا في كونها تعتبر الغايات أمور خارجة عن نطاقها ٠

ويشير بوبر إلى "أن السياسي في هذه الهندسة الجزئية قد يكون أو لا يكون لديه برنامج عمل للمجتمع أمام ناظريه، وقد يأمل أو لا يأمل في أن يقيم الجنس البشري في يوم من الأيام دولة مثالية ويحقق السعادة ولكمال على الأرض بيد أنه لن يدرك ان الكمال حتى ولو كان إحرازه بعيد المنال إلى حد كبير وبالتالي الجيل الحالي أيضاً لديه شيء يطلب به

[7] مصطفى عادل مئة عام من التنوير ونضرة العقل ص 128.

[8] بوبر كارل : المجتمع المفتوح واعداؤه ج1 ص 286.

[9] بوبر كارل : في الحرية والديمقراطية ، ترجمة عقيل يوسف عيدان ، مركز الحوار للثقافة ، التنوير ، الكويت ط1 ، 2009 ص 45.

[10] بوبر كارل : المجتمع المفتوح واعداؤه ج 1 ص 49.

قد لا يكون هذا الشيء المطالبة بتحقيق السعادة لأنه لا توجد وسائل مؤسساته تجعل الانسان سعيداً ولكنه على الأرجح يطلب بالاً يكون تعيساً طالما بالإمكان تفادى ذلك "[11].

تنشغل الهندسة التدريجية بالقضايا المؤسساتية بنزوع عقلاني واقعي فإذا كان اليوتوبي "المدفوع بهاجس التاريخانية يبذل جهدا لإكتشاف أصل ومصير هذه المؤسسات السياسية وغيرها من أجل تقويم الدور الحقيقي الذي لعبته في تطور التاريخ، فإن التدريجي يعني بطرحها بشكل عقلاني باعتبارها وسائل لخدمة أهداف معينة"[12] فهي لا تبحث عن الجذور الفلسفية ولا تنشغل كثيراً بها سعياً عن الحاجات القطعية تجاهها بل تعمد إلى التعاطي معها على انها آليات للتعامل مع الواقع المعاش، وهكذا يمكن التعديل والتقويم والمناقشة والتحليل وإعادة القراءة والتشكيك والنقد لكونها تنطلق من النزوع النسبي في التقييم ،وطالما أن الأجوبة النهائية امر مستبعد فإن الأسئلة المطروحة هي أسئلة عملية وواقعية تتم الاجابة عنها بطريقة البدائل وأسلوب التجربة والخطأ، ومن ثم تعطي التدرجية مرونة في العمل من خلال اعتماد النجاح الواقعي ورأي الناس ما يؤدي إلى بناء شكل ديمقراطي جماعي في إدارة الشأن العام ،يشير بوبر إلى أنه لا يمكن فهم الهندسة الاجتماعية التدريجية بوصفها أحد هم مرتكزات المجتمع المفتوح إلا في سياق ربطها بالنظرية المعرفية عنده والتي تنطلق من رفض المسلمات الإطلاقية والاجابات النهائية لأن العلم في فلسفة بوبر لا يتسم باليقين والإطلاق ناقص ما يمكن قوله في تحصيل البحث العقلي والمسائل التجريبية هو ترجيح أعلى بدون الوصول إلى درجة من اليقين النهائية والكاملة على انه هو نهاية المسألة العلمية اذ طالما ان الترجيح العلمي يبقى عند بوبر قائماً على الأساس الاحتمالي غير اليقيني فإن من الطبيعي أن يحصل من خلال تنظيره للمجتمع المفتوح بهندسة اجتماعية تدريجية تستند إلى الاحتمالية التي تقف على محك "البحث عن الأقل خسارة بدلاً من البحث عن الأكمل وأفضل والأكثر مثالية ،نجد أن النسبية التي يؤمن بها بوبر القت بظلالها على تنظيره للهندسة التدريجية ولسائر المبادئ الأخرى للمجتمع المفتوح، هذه النسبية التي دفعت بوبر إلى التأكيد وبشدة على أن المجتمع المثالي مستحيل لكن بعض النظم الاجتماعية أفضل من بعض"[13].

ثانياً: النزعة العقلانية: إلى جانب الهندسة الاجتماعية التدريجية تقف النزعة العقلانية وما تتطلبه من الحرية الضرورية وكذلك ديمقراطية المساواة بوصفهن المبادئ الفكرية السياسية للمجتمع المفتوح عند بوبر يستخدم بوبر " العقلانية كإشارة إلى موقف يسعى إلى حل العديد من المشكلات من خلال اللجوء إلى العقل، لا باللجوء إلى العواطف والانفعالات "[14] ، هذا المعنى هو المرتبط بوثاقه مع المجتمع المفتوح بوصفه خاصية ومبدأ من مبادئه ومرتكزاته إذن هذا المجتمع يعتمد على النزوع العقلاني في التعاطي مع كافة قضايا الشأن العام بل حتى على مستوى قضايا الشأن الخاص لأن منح العقل المركزية في تحديد الأولويات وتبنى الخيارات تجاه ما يواجه الفرد أو المجتمع ككل يسهم في تقليل والحد من الأخطاء ورفع الفعالية في تحصيل أكبر قدر ممكن من الايجابيات المرجوة من الفعل الصادر، ومن هنا يرى" أن العقلانية تارة تكون تعبيراً عن الاتجاه الشخصي الذي يعبر عن الاستعداد لأن يصوب المرء معتقداته في صورتها الذهنية البالغة التطور إلى أعلى حد تجاه الاستعدادات حيث يناقش المرء معتقداته مناقشة نقدية وإن يصوبها

[11] **المصدر نفسه، ص 261.**

[12] **المصدر نفسه ، ج 1 ص 52.**

[13] **بوبر كارل، بحثاً عن عالم أفضل ، ترجمة أحمد مستجير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001 ص 152.**

[14] **بوبر كارل ، المجتمع المفتوح واعداؤه ج2 ، ترجمة حسام نايل ، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان ، ط1، 2015 ص 324 .**

في ضوء المناقشات النقدية مع الأخرين، وتارة أخرى تبرز العقلانية بوصفها ميدانا من أجل تقليل العشوائية في نماذجنا بصورة ملموسة"[15].

هكذا يتجلى دور العقلانية في المجتمع البوبري المفتوح بإعطاء العقل دورة الرئيسي على مستوي الاتجاه الشخصي والمبدأ بيد أن الدعوة إلى العقلانية التي يمارسها لا تستلزم بالضرورة وجود نمط واحد منها ويجب على الأخرين اتباعه" إذ يؤكد على وجود أكثر من ضرب من ضروب العقلانية ويحذر من اتباع الضرب الخطر منها فهي تنقسم عنده إلى عقلانية حقيقية وعقلانية مزيفة، أو عقلانية نقدية وغير نقدية"[16] في العقلانية النقدية التي يعتبر بوبر ان سقراط من أبرز ممثليها، لا يعتقد العقلاني أنه أو غيره يمتلك الحقيقة ولا يرى أن مجرد النقد يساعدنا على الوصول إلى أفكار جديدة ، ولكنه يرى أن المناقشة النقدية هي فقط ما تساعدنا على التمييز في أصل الأفكار بين الزيف والحقيقية إذ تبرز العقلانية النقدية أو النقدية بوصفها معطى يجعل العقلاني ينظر بعين جزئية غير كلية أو شاملة للحقائق التي يتوصل إليها وبدرجة عالية من النسبة بما يخضعها دائماً إلى عملية المسائلة المتكررة والقابلية للتغير تبعاً للنتائج التي يمكن التوصل إليها بعبارة أخرى هي عقلانية لا تأخذ بالإجابات الجاهزة والأنساق التقليدية بقدر سعيها المتواصل إلى النقد والتشكيك المستمر والسعي باتجاه تحفيز البحث عن اشكاليات يمكن أن ترد على ما تم تبنيه.

ونتيجة لذلك فإن العقلاني حتى ولو أنه يتوافق عقلياً على الأخرين فسيرفض أية مطالبة بسلطة مرجعية ما دام يدرك إن ذكاءه لو كان أعلى من ذكاء الأخرين ومن الصعب عليه الحكم بهذا فسيترك إنه كذلك فقط ما دام قادراً على التعلم من نقد الأخرين له،

ومن اخطائه وأخطاء الاخرين ايضاً، يعتقد بوبر أن المجتمع المفتوح يختلف عن نظيرة المغلق في ان الاول يعتمد النزعة العقلانية التي تجعل افراد المجتمع يمارسون حالة من النسبية في القناعات التي يتبنونها ويعتمدون آلية المناقشة الحرة والهادفة الى بيان النقاط الايجابية والسلبية التي تكتنف ما يؤمن به كل طرف دون ان يقود ذلك الى حالة من الاقصاء او الكراهية او التهميش، يقول بوبر "العقلانية موقف لا يتخلى عن الامل ولو كان طفيفا في انه بوسائل كالحجة والملاحظة الدقيقة يصل الناس الى اتفاق حول العديد من المشكلات ذات الاهمية وحتى حين تتصادم مطالبهم فمن الممكن في الاغلب اثارة نقاش حول المطالب والمقترحات المتنوعة ،والوصول الى حل وسطي توفيقي يقبله معظما لعدالته وانصافه"[17] ان لم يكن كلنا بعبارة اخرى يمكن عبر هذه النزعة تحصيل حالة من التعايش غير العنفي متقومة بتبادل وجهات النظر والسعي تجاه ايجاد المخارج المشتركة باقل قدر من التنافر المؤدي الى ايقاف عملية التداول السلمي للسلطة او لأية قضية اخرى من قضايا الشأن العام في المجتمع المفتوح ،بيدان بوبر يرى ان العقلانية لا يمكنها ان تعمل بفعالية كخاصية لهذا المجتمع دون دعامتين هما الحرية والفردية لا نجاح عملية البناء الحضاري لأسس القبول ولنقد المتبادل في المجتمع .

أولاً: الحرية: فالعقلانية لكي تحظى بحيزها الحيوي وفعاليتها التامة فإنها تحتاج الى فضاء من الحرية، الذي يشكل مبدأ هام في المجتمع المفتوح عند بوبر تتنفس ثقافة الاختلاف التي لا يمكن ان توجد مالم تسود الحرية ومساحتها الواسعة داخل الدولة ذات المجتمع المفتوح ،وفي ظل تعدد وتنوع تمظهرات الحرية حظيت الحرية السياسة عند بوبر بمكانة

---

[15] بوبر كارل ، اسطورة الاطار : في الدفاع عن العلم والعقلانية ،ترجمة يمنى طريف الخولي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت2001 ص 216.

[16] كارل بوبر المجتمع المفتوح واعداؤه ج2 ص 327.

[17]كارل بوبر المجتمع المفتوح واعداؤه ج2 ص 324.

ملفتة اعتبرها اكثر القيم السياسية اهمية لذا يجب ان تكون دائما على استعداد للنضال من اجل الحرية السياسية ،فالحرية من الممكن دائما تضيع فلا يجب ان نعتقد انها مضمونة كما حصلت في المانيا التي تحولت وبوسيلة ديمقراطية هي الانتخابات 1933م الى دولة استبدادية تقمع الحريات وثقافة الاختلاف والنقد لإن الحرية السياسة غابت عنها بشكل خطير.

"اذ ان الحرية عنده لا تعني عدم وجود الضوابط التي تحكمها لان الحرية الخالية من الضوابط تعني الفوضى وعدم الاستقرار، ومن هنا ينبع الدور الأساسي الذي تمارسه سلطة الدولة لمنع تحول الحرية إلى ممارسة الفوضى يقول بوبر نحن نحتاج للحرية لكي نمنع سوء استخدام سلطة الدولة كما تريد من الدولة سوء استخدام الحرية"[18] ويعني بوبر هنا بالحرية التي تمنع سوء استخدام سلطة الدولة تلك التي تمارس العقلانية النقدية الحقيقية وتوجه الاشكالات والاعتراضات والنقد البناء المتواصل لعمل مؤسسات الدولة بشكل يجعلها تقوم عملها وتحذر أن تحول سلطتها المخولة لها إلى أداة قمع لآراء الناس ومواقفهم .

وينظر بوبر إلى المسؤولية والالتزام كشروط ضرورية لنجاح الحرية يقول بوبر صحيح أني ليبرالي ولست مع الرقابة ولكن الصحيح أيضاً بأنه لا يمكن أن تكون هناك حرية من دون أن تكون هنالك مسؤولية هذه المسؤولية التي أن تضطلع بها الدولة عبر ما يسميه بوبر ب"مذهب الحماية مشيراً إلى أن أي نوع من الحرية هو مستحيل إذا لم تكلفه الدولة أو يلتزم قدر معين من رقابة الدولة على التربية على سبيل المثال إذا أردنا حماية الشباب من الإهمال قد يؤدي إلى عدم قدرتهم على الدفاع عن حريتهم"[19] وحتى لا يفهم من كلام بوبر أنه يشرعن لهيمنة سلطة الدولة، أنه مع الحرية وضد غطرسة الدولة " لكن لسوء الحظ الدولة شر ضروري، فبدونها هناك أمور لن تعمل ولسوء الحظ أيضاً هذا القول هو صحيح مزيد من الناس مزيد من الدولة"[20] فغياب الشر الضروري للدولة سيجعل من الحرية فوضى غير منضبطة ودور الدولة يبرز من خلال تحديد المعايير الأساسية للتفريق ما بين الحق العام والخاص كذلك الخطوط الحائزة بين حد الحرية وحد الفوضى. أن تعبير بوبر عن سلطة بالشر يكشف عن إدراكه لحجم الخطورة التي تكتنف هذه السلطة إذا ما عمدت إلى تعدي سلطتها المحدودة بما يفضي إلى التحكم في مصائر أفراد المجتمع المفتوح، لكن هذا الشر بقى ضرورياً كضمان للحرية ومنعها من الانفلات، يضعنا بوبر هنا أمام معادلة توازن دقيق.

حرية بلا سلطة= فوضى سلطة دولة بلا حرية = استبداد

أما حرية مع رقابة سلطة الدولة = مجتمع مفتوح

ثانياً: الفردية : لا تكفي الحرية وحدها كي تشكل دعامة أحادية للنزعة العقلانية للمجتمع المفتوح عند بوبر ،بل يجب أن تكتمل معها الفردية إذ يشير بوبر بأن الفردية تأتي بأكثر من معنى

1- الفردية في مقابل الجمعية 2- الفردية في مقابل الإيثار أو الغيرية يريد بوبر ان يتوصل عبر هذا التمييز عن أن للفردية أكثر من معنى وأن الأول يقابل الجمعية بينما الثاني في مقابل الإيثار لما يرادف الأنانية يريد بذلك أن يبعد تهمة الأنانية عن الفردية التي يدعى إليها والتي لطالما وجهت اتهامات إلى المجتمع الليبرالي بأنه مجتمع يقوم على أنانية كل فرد وعدم اكتراثه بالأفراد الآخرين، وبوبر هنا يريد أن يقول أن الفردية هنا هي فردية ضد المجتمع وليست

---

[18] كارل بوبر: الحياة باسرها حلول لمشاكل ،ترجمة بهاء درويش ، منشأة المعارف ، الاسكندرية 1994 ص 234.

[19] كارل بوبر المجتمع المفتوح ج1 ص 186.

[20]Karl popper and Herbet Marcuse ,Revolution or Reform,Edited by A.T.Ferguson,2nd Edition 1985,New University press, London op . cit , p 87.

فردية انانية بكلام أدق إذا كانت الجمعية تعني " أن على الفرد أن يخدم مصالح الكل سواء كان الكون أو المدينة أو القبلية أو أي قوام جمعي آخر فإن الفردية هنا تعني أن للفرد درجة عالية من الاستقلالية بشكل لا يجعله ينصهر داخل بوتقة ويجعله يرزح تحت وطأة حالة القطيعية المتقومة بأن الفرد لا وجود له ولا لحقوقه ولا لمصالحه في مقابل وجود الجماعة وحقوقها ومصالحها ،وهكذا فالفردية هي أن تكون مستقلاً في تفكيرك بحرية ونزوعك العقلاني عن الآخرين، ويتبنى الفرد وجهات نظره ويحدد موقفه بناءً على قناعاته الذاتية وليس استجابة لما تمليه الإدارة الكلية للجماعة "فللفرد الحق أن يقرأ أو يكتب وينشر دعوة لكل شيء يخطر على باله وهو ليس لديه الحق فحسب في أن يقبل أن يعيش وفقاً لأسلوب معين وان ينشر أفكاراً يوصفها أفكار فردية وإنما في استطاعته أيضاً أن يشكل جمعيات أو اتحادات تعمل على تدعيم وجهة نظره "[21]

دون أن يستلزم ذلك من وجهة نظر بوبر أن يكون الفرد أنانياً إذ بإمكانه أن يكون فردياً بهذا المعنى ومع ذلك يبقى مكترثاً بالآخرين وحقوقهم وقضاياهم وذلك ممكن ومتاح طالما أن الفردية هنا كما وضح بوبر لا تقابل الإيثار أي ليست أنانية بقدر ما أنها مقابلة للجمعية.

ويؤكد بوبر بأن المجتمع المفتوح لن يكتمل ويصبح نموذجاً إلا حين تنضم إليها الديمقراطية بوصفها تعبير عن دور الشعب في تقرير مصيره وحكم نفسه لكن بوبر يدرك أن تعبيرات من قبيل" حكم الشعب " أو "حكم الأغلبية بل مجموعة من المؤسسات من بينها بصفة خاصة الانتخابات العامة أي حق الشعب في إقالة الحكومة تسمح بالرقابة العامة على الحكام وإقالتهم من قبل المحكومين وتمكن المحكومين من تحقيق اصلاحات من دون استعمال العنف"[22] ، وهذا هو المحدد الأساس الذي ينطلق منه بوبر في التمييز بين الدول الديمقراطية وغير الديمقراطية محدداً التداول السلمي الذي يتاح وفقه للمحكومين أن يغيروا الحاكمين دون الاضطرار إلى استخدام العنف ويقدم لنا بوبر تقسيماً للدول منسجماً مع المحدد هذا إذ تنقسم الدول عنده إلى شكلين.

1-الدولة الديمقراطية التي يمكن فيها التخلص من الحكومة أي تغييرها دون إراقة دماء من خلال الانتخابات.

2-الدولة الاستبدادية التي لا يمكن للمحكومين أن يتخلصوا من الحكام إلا من خلال ثورة ناجحة.

"و بوبر يدعم الديمقراطية كمبدأ حيوي في تأسسه للمجتمع المفتوح هذا المجتمع المعبر عن دولة القانون التي بدورها تتطلب اللاعنف وبوبر ينبذ العنف ولا يأخذ به كوسيلة للتغيير"[23].

ويرى بوبر بأن ديمقراطية النخبة التي تعتقد بوجود شريحة من المجتمع أهلتهم ظروف وأسباب معينة ليكونوا متفوقين على الآخرين من أفراد المجتمع، وهذا ما يرفضه بوبر مؤكداً أن التفوق الشخصي سواءً كان جنساً أم ثقافة أم تربوياً لا يمكن أن يؤسس أبداً ادعاء الامتيازات السياسية حتى ولو أمكن اثباته أو يسلم، ويتقدم بوبر خطوة للأمام مبيناً ما تمثله هذه الصعوبات حيث يقول " أن تبني موقف مناهض للمساواة في حياة السياسية أي في مجال المشكلات المتعلقة بسلطة الإنسان على الإنسان لهو على وجه التحديد ما ينبغي ان اسميه جريمة فهو يقدم تبريراً لموقف يقول بان فئات من الناس لديها حقوق مختلفة "[24].

---

[21] فيرابيند باول ، العلم في المجتمع الحر ، ت، السيد نيفاوي ، القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة ، 2000 ، ص 100.

[22] بوبر كارل ، المجتمع المفتوح وعاداؤه ج2 ص 226.

[23] بوبر كارل ، درس القرن العشرين ، ترجمة الزواوي بغورة ، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، ط1 ، 2008 ص 60.

[24] بوبر كارل ، المجتمع المفتوح واعداؤه ج ١ص 339.

"هكذا يرفض بوبر النخبوية في ممارسة السلطة السياسية ويقبل بوبر بديمقراطية المساواة الذي يعامل فيه مواطنو الدولة بغير تحيز وهو يتطلب ألا يؤثر المولد أو القرابة أو الثروة على أولئك الذين يطبقون القانون على المواطنين"[25].

ويعود بوبر ليؤكد أنه لا يمكن انكار أن افراد البشر ككل الموجودات الأخرى في عالمنا غير متساوين من نواح عديدة لكن كل ذلك لا صلة له بمسألة ماذا لو كان ينبغي علينا ان لا نقرر اعتبار أفراد البشر لا سيما في القضايا السياسية متساوين، يقصد بوبر هنا ثمة موضوعين منفصلين قاد الخلط بينهما إلى بناء نظرية النخبوية في الشأن السياسي وأدى بدوره إلى رفض ديمقراطية المساواة هذا الخلط بين الإقرار بوجود اختلاف وتفاوت بين أفراد المجتمع بسبب الجينات الوراثية أو القدرة الذهنية أو الحالة المادية وغيرها من التفاوتات الموجودة في المجتمعات البشرية وبين نقل هذا الاختلاف والتفاوت إلى الميدان السياسي ومن ثم بناء تراتبية سياسية ضمن نسق هرمي يجعل من المساواة السياسية ضمن ثنائية الحقوق والواجبات أمراً شاذاً ،بينما يؤدي الابقاء على الفصل والتمايز بين هذين الموضوعين إلى حالة من التناغم بين الإقرار بواقعية الاختلاف في الوجود الذي نعيشه وبين المساواة السياسية التي تعبر عنها ديمقراطية المساواة من خلال منح الحقوق والواجبات على قدر من التساوي بين جميع أفراد المجتمع المفتوح.

إن تأكيد بوبر على ديمقراطية المساواة المستلزمة لرفضه النخبوية لا يعني أنه يفضل تماماً وجود بعض السلبيات التي تكتنف النظام الديمقراطي بل يقر بوجودها بيد انه يحاول التخفيف من وطأتها عبر التذكير بفكرته التي أشار فيها إلى أنه من الخطأ البحث عن النظام المثالي كما فعل المهندسون اليوتيوبيون وإنما بدلاً عن ذلك يجب البحث عن النظام الذي ينطوي على أقل قدر من المساوئ لذا يقتبس بوبر عبارة للسياسي البريطاني تشرشل التي تقول" الديمقراطية هي أسوأ أشكال الحكم باستثناء جميع الأشكال الأخرى التي هي أسوأ منها[26] ".

وتظهر التأييدات للديمقراطية من خلال المقارنة بالبدائل الأخرى التي هي أسوأ منها وانطلاقاً من مبدأ البحث عن أقل المساوئ تبرز الديمقراطية كأفضل حل متاح كما يعتقد بوبر أن مبدأ حكم الأغلبية المعمول به ضمن إطار الديمقراطية لا يعني أن الاغلبية على حق دائماً فالديمقراطية هنا هي مجرد تصويت لصالح الأغلبية " فماذا لو صوتت الأغلبية لصالح حزب كالحزب النازي أو الشيوعي لا يؤمن بالنظم الحرة، فيما إذا قبض على زمام الأمور أن يطيح بها ،أننا هنا أمام معضلة حقيقية فإذا منعنا مثل هذا الحزب من نيل السلطة نكون قد نبذنا الديمقراطية وإذا تركناها فإنه سيتكفل بالقضاء على الديمقراطية وفي الحالتين تكون الديمقراطية إذ ما اقتصرت على تصويت الأغلبية قد حملت في داخلها جرثومة فنائها" .[27]

لذلك فإن تفكير بوبر السياسي لا يلتقي بهذه المفارقة ذلك أن من يلتزم بالتمسك بالمؤسسات الحرة فإن عليه دون الوقوع في التناقض الذاتي أن يدفع عنها ضد أي خطر يأتيها من أي جهة سواء من جهة الأقليات أو من جهة الأغلبيات "

ولذلك يجب أن تكون سلطة الحكام محدودة تمنع الأغلبية في أن تقرر ما تشاء بحق الأقلية مع رعاية حقوق الأقلية .

إن ما يهدف إليه بوبر وما يريد أن يوضحه إلى أن لا يوجد نموذج ديمقراطي لا يخلو من السلبيات هو التأكيد على أن الصورة المثالية للحكم غير موجودة والبحث يتم عن أفضل بديل متاح وهو ما مثلته ديمقراطية المساواة التي تجعل مواطني المجتمع المفتوح متساوين سياسياً ،ويرى بوبر أن نظام الثنائية الحزبية أكثر انسجاما مع ديمقراطية المجتمع

[25] بوبر كارل المجتمع المفتوح ، ج 1 ص 161.

[26] بوبر كارل ، درس في القرن العشرين ص 76.

[27] مصطفى عادل ،كارل بوبر مئة عام من التنوير ونظرة العقل ص 132.

المفتوح ويبرر ذلك أن هذا النظام يفعل عملية النقد الذاتي للأحزاب " إذ متى ما حدث ومني أحد الحزبين الكبيرين بهزيمة ثقيلة في إحدى الانتخابات فإن هذا عادة ما يؤدي إلى إصلاح جذري داخل الحزب[28]" ثم يعود بوبر ليؤكد أن المجتمع المفتوح قائم على التعددية والتعددية تعني الكثرة.

إن تبني بوبر الثنائية الحزبية في المجتمع المفتوح سببه الإعجاب الكبير بالنموذج البريطاني الذي يعترف أن ما شاهده في زيارته لبريطانيا للمرة الأولى عام 1935 م ، هو الذي دفعه لنحت اسم المجتمع المفتوح وأن التعددية الحزبية يمكن أن تنجح مع المجتمع المفتوح شريطة أن تكون منضبطة ومتفاعلة وغير فوضوية، كما هو الأمر في عدد من الدول الاسكندنافية التي رغم تعددها الحزبي إلا أنها نجحت في تطبيق ديمقراطية مساواة حقيقية.

لقد كان الاعتقاد السائد في القرن العشرين في نطاق عريض من الأمم والشعوب هو أن منطلق العقل والعلم لا بد أن ينادي بمجتمع منظم تنظيما مركزياً ومخطط بوصفه كلا واحد لا انقسام فيه ولا تعدد". "فجاء بوبر ليثبت أن هذا التصور ، عدا عن أنه استبدادي تسلطي يرتكز على تصور للعلم مغلوط وبائد. فكل من منطق العقل ومنهج العلم يشير إلى مجتمع مفتوح وتعددي يسمح بالتعبير عن وجهات النظر المتعارضة وتبني الأهداف المتضادة، مجتمع يتمتع فيه كل فرد بحرية البحث في المواقف الإشكالية وحرية اقتراح الحلول وحرية انتقاد الحلول التي يقترحها الآخرون، وبخاصة أعضاء الحكومة سواء في مرحلة الشروع النظري أو التطبيق العملي في مجتمع"[29]

تتغير فيه سياسات الحكومة في ضوء المراجعة والفحص النقدي . ولما كانت السياسات عادة هي خطط ينادى بها ويشرف على تنفيذها أناس ملتزمون بها بطريقة أو بأخرى فإن التغيير المطلوب حين يتجاوز حجماً معيناً يقتضي تغير الأشخاص يترتب على ذلك أن تحقيق المجتمع المفتوح على أرض الواقع يستلزم أولاً وقبل كل شيء أن يكون مجال إمكانية لإقصاء من هم في السلطة على فترات معقولة وبدون عنف واستبدال أخيرين ذوي سياسات مختلفة .

ولكي يكون هذا خياراً حقيقياً " فإن ذوي السياسات المخالفة لسياسات الحكومة يجب أن يتمتعوا بحرية تشكيل أنفسهم كحكومة بديلة لتولي السلطة يعني هذا أن بإمكانهم أن ينظموا أنفسهم ويتحدثوا ويكتبوا ويذيعوا ويعلموا برامجهم المنتقدة للسلطة القائمة وأن يكفل لهم دستوراً منفذاً إلى خلافة الحكومة"[30]

وهكذا فإن المجتمع المفتوح هو النموذج البوبري المنشود لتطور وتقدم المجتمعات البشرية، وسعي الانسان للوصول إلى الحقيقة دون تحديد أو استناد إلى أسس راسخة أو إلى مصادر غير معصومة تؤسس للقيين فالحقيقة هدف وغاية أي علم وأي فلسفة تبقى صعبة المنال لأن الحقيقة ليست مدفونة في الماضي لكنها موضوع اكتشاف في المستقبل .

إنه مجتمع مفتوح دائما وهذا لا يعني البته مجتمعا لا تراتبية فيه أي مجتمعا خاليا من القيم . إنه مجتمع لا يكون فيه التراتب طبيعياً معطى إلى الأبد ، إنه مجتمع مفتوح بقيمه التي يحتويها يمكن أن تتطور وتنمو دون قهر ولا عنف تحت ثقل الحجج النقدية والبراهين أي بالإقناع وبالاكتشافات لا بالإكراه والتسلط . فالمجتمع المفتوح هو النموذج السياسي الذي يعبر عن الحالة الواقعية في البحث عن السؤال الوجودي المتعلق بإدارة الشأن العام هذه الحالة التي رأى فيها بوبر أنها إعادة توجيه للسؤال الخاطئ الذي أطلقه العديد من المفكرين السياسيين الباحثين عن النظام السياسي المثالي

[28] بوبر كارل ، الحياة باسرها حلول لمشاكل ص218.

[29] مصطفى عادل كارل بوبر مئة عام من التنوير ونضرة العقل ، ص 131.

2 المرجع نفسه ص 131.

وعن أفضل حكام لإدارة الشؤون السياسية بينما المجتمع المفتوح ليس بحثاً عن أفضل نظام سياسي بقدر ما هو بحث عن نظام ينطوي على أدنى من السلبيات التي تكتنف الأنظمة الأخرى .

"فالمجتمع المفتوح البوبري هو مجتمع تكون فيه المبادرة هي اساس القرار الشخصي"[31] ونفهم من هذا ان المجتمع المفتوح يقوم على تحمل كل فرد لمسؤوليته امام الجميع٠"فالمجتمع المفتوح بخلاف المجتمع المغلق هو مجتمع لاتكي ينظر الى المؤسسات كإبداعات انسانية ويمارس منهجيا وبكل حرية الفكر النقدي وهو ما يفسر اهمية الفلسفة والعلم داخل هذا المجتمع وهو كذلك مجتمع يتطور باستمرار رافضاً كل سكينة او مهادنة ويجعل من الفرد قيمة عليا وهو ما يعطي لكل واحد الحق في ان يحدد اختياراته الشخصية "[32] فالمجتمع البوبري يكون بمقدور الانسان ان يميز بين ما هو ظاهرة طبيعية وما هو ابداعي انساني حيث تصبح الانسانية تعي نفسها وفي هذا الوعي يأخذ القوة العقلية في المجتمع مكانه الحقيقي ويستقل عن الحتميات والضرورة الطبيعية والدينية ويصبح ممكناً تحديها وتجاوزها، فالمجتمع المفتوح هو علامة على موقف نقدي جديد وهنا نفهم العلاقة بين ظهور نقدي معين اي امكانية اقتراح نظريات عديدة تفسر العالم وامكانية اختبار هذه النظريات بواسطة الحوار النقدي لان الانسان ليس مجرد عنصر من الطبيعة وسجين حقيقة واحدة معينة بل له نظر نقدي للمعايير والحقائق ،ويجب عليه ان يمتلك حرية القرار في قبول ورفض هذا المبدأ او ذلك وليس من الضروري معرفة الحقيقة اعتمادا على اعتقاد معين وعليه ،فان بوبر يرى ان المجتمع المفتوح يعطي امكانية التغيير من جهة ويدعو الى ان يتحمل مسؤوليته في العمل السياسي والاجتماعي من جهة اخرى، ومن صفات هذه المجتمع ايضا هو انه يمنح الفرد الحرية في طريقة حياته وفي هذا يقول بوبر "نقلا عن كانط لا احد يستطيع ارغامي على ان اكون سعيدا بطريقة ما لكن لكل واحد يستطيع البحث عن سعادته بالطريقة التي تبدو له افضل"[33] يقول بوبر " ان المجتمع المفتوح ليس شكلا لنظام سياسي او حكومة بقدر ما هو شكل لتعايش الانساني الذي يكون فيه حرية الافراد وتتغلب النزعة السلمية وحماية الاقليات وحماية الضعفاء هي قيم اساسية"[34] ،فافضل مجتمع يمكن بلوغه هو مجتمع تتوسع فيه حرية الافراد الى الحد الامثل الممكن وتقوم فيه مؤسسات معززة بسلطة الدولة للمحافظة على تلك الحرية أو خلقها ان لم تكن موجودة اي تدخل الدولة واسع ويشمل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وليس هذا التدخل خطير طالما يتمتع المحكومون بقدرة على استبدال الحكام بغيرهم ممن يحمل مناهج مغايرة ،انه مجتمع لا يمنع استخدام العنف ضد اي محاولة لإجهاض المؤسسات وتفريغها من مضمونها او محاولة تفضي الى دعم الاستبداد اما الاطروحة السياسية في المجتمع المفتوح فهي " قلصوا المعاناة التي يمكن تلافيها الى الحدود الدنيا [35] " ومن شأن هذه الدعوة ان تضع مباشرة المشاكل القائمة موضع الاهتمام طلباً لحلها فبدلا من ان تعمل وزارة التربية مثلا على بناء مدارس نموذجية بقصد تحسين الفرص الى اقصى حد ممكن امام الاطفال ويمكنها بدلا عن ذلك ان تتجه الى المدارس الاكثر فقرا بالأجهزة والتجهيزات تلك المدارس الأسوء ادارة أو مدرسين او الاكثر ازدحاما في الصفوف فتجعلها في مقدمة اهتماماتها محاولة اي شيء ممكن لمعالجة تلك النواقص . وبهذا تكون قد رصدت شرورا اجتماعية محددة تثقل

---

[31] Popper karl , Lsociete et sesennemis , vol 1 , op . cit , p142

[32] بوفيرس روني ، العقلانية النقدية عند كارل بوبر ، ، ترجمة سعيد بو خليط ، افريقيا الشرق ، المغرب 2009 ص 133.

[33] بوبر كارل خلاصة القرن ، ترجمة الزواوي بغورة ، القاهرة ط1 2002 ص 79.

[34] خضر مذبوح : فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر ، دار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2009 ص 336.

[35] فؤاد محمود ناصيف خير بك ، من الابستمولوجيا الى المجتمع ، (التاريخانية والمجتمع المفتوح عند كارل بوبر) ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 2002 ص 244.

كاهل افراد المجتمع بقصد القضاء عليها ،هذا ما يريده بوبر بأطروحته معترضا بذلك على بناء المدن الفاضلة ، انها اطروحة عملية وتأتي بالتغير الذي يبدأ من مشاكل الناس وتدعو لإصلاح المؤسسات القائمة او اعادة صياغتها "ويقارن بوبر اطروحته بتقليل الشقاء بأطروحة زيادة السعادة من جانب منطقي واخر اخلاقي حينا يكشف منطقيا عن وجود اختلاف بينهما

بالقول : اننا نعرف طرقا لتقليل الشقاء الممكن الى الحد الادنى لكننا لا نعرف طرقا لزيادة السعادة الى الحد الاقصى، ومن هنا يظهر جليا التشابه بين هذا الوضع وبين اننا لا نعرف طرقا لتحقيق العبارات العلمية في حين اننا نعرف طرقا لدحض تلك المقولات "[36] وهذا ما يكشف لنا ايضا عن التشابك بين فلسفة بوبر في العلم وبين فلسفته الاجتماعية اما اخلاقياً فيقارن بوبر بين المعاناة والسعادة ، بين الالم والمتعة فبينما تستدر المعاناة البشرية وبشكل مباشر استغاثة اخلاقية لا يستدر مطلب سعيد في زيادة سعادته نخوة احد . ثم ان مقولة زيدوا المتعة الى اقصى حد تفترض من حيث المبدأ وجود مقياس للألم والمتعة يجيز لنا ان نعامل درجات الالم وكأنها درجات سلبية للمتعة، في حين يمتنع علينا اخلاقياً ان نقارن بين آلم هذا الانسان بمتعة انسان اخر . ونستنتج مما سبق ان المجتمع المفتوح هو مجتمع ديمقراطي لا يحكمه تصور نهائي محدد بل يسير بخطوات متتابعة تسيرها المحاولات المستمرة للتطور والتقدم محاولة متفتحة على الافكار والتوجهات وغير محكومة بأفكار مسبقة، وهو مجتمع يرسخ القوانين والمؤسسات التي تسمح للناس ذوي الرؤى والمصالح المختلفة بالحياة معا بسلام، وهو مجتمع اخلاقي وعقلاني يمكن المحافظة على حد امثل من الحريات ضمنه وهو قابل للتحسن وهو كذلك مجتمع يفتح الباب امام اقتراحات متباينة قابلة للفحص والنقد وتداول السلطة بلا عنف ، ومجمل القول ان المجتمع المفتوح يعكس الموقف السياسي النقدي لكارل بوبر وهو نظام اجتماعي يتعايش فيه الناس على قاعدة اساسية تتمثل في النقد .ولكن بصورة اخرى فإن المجتمع المفتوح ما هو الا مجتمع ليبرالي لأن القيم التي يدعوا اليها بوبر هي نفسها قيم المجتمعات الغربية مثل التعايش السلمي ، وغياب العنف وحماية الاقليات والضعفاء، والتسامح والحرية ، والديمقراطية والمسؤولية حيث ظل بوبر طوال مساره الفكري يتغنى بقيم الحضارة الغربية " نحن في الغرب في السماء في السماء الاولى بطبيعة الحال ولسنا في السماء السابعة ، وجنتنا متطورة ومكتملة ويجب علينا الا نحط من قيمتها او نقلل من سمعتها ان عالمنا هو احسن العوالم التي وجدت وخاصة في اوروبا وفي الولايات المتحدة الامريكية اكثر من اي مكان "[37].

ويرى بوبر بأن الولايات المتحدة الامريكية خاصة النموذج المعاصر للمجتمع المفتوح الذي ظل يبشر به ويدافع عنه طوال حياته الفكرية وهنا يضيف بوبر ايضاً " ديمقراطيتنا الغربية – وخصوصا الولايات المتحدة هي نجاح لا سابق له وهذا النجاح هو ثمرة الكثير من العمل والكثير من الجهد والكثير من الإرادات الطيبة وكثير من الافكار الخلاقة في ميادين متعددة والنتيجة هي ان كثير من الناس سعداء يحيون حياة اكثر حرية وحياة اجمل واعرف طبعا ان كثير من الاشياء يجب ان تتحسن "[38] .

كما تحدث كارل بوبر عن اعداء المجتمع المفتوح وهي المذاهب الشمولية التي تتضمن شموليتها انغلاقها لأنها تقدم تصوراً متكاملا ومنتهيا لتكون مجتمع تاريخي، ومن هنا فهي تؤدي بالضرورة الى الوقوف في وجه الافكار المخالفة بل

---

[36] فؤاد محمود ناصيف خير بك ، من الابستمولوجيا الى المجتمع ، ص 245.

[37] بوبر كارل ، خلاصة القرن ص 98.

[38] بوبر كارل ، خلاصة القرن ، ص 86.

وقعهما، ومن هنا ترافقت على مدار التاريخ البشري ، المذاهب الشمولية والقمع والديكتاتوريات والاستبداد ، مع الشيوعية وستالين والنازية وهتلر والاديان وملوك في القرون الوسطى ومع ذلك ان الخطر الذي يتهدد المجتمع المفتوح باستمرار هو الإيديولوجيات العالمية المجردة مثل الشيوعية والفاشية لأن هذه الايديولوجيات تزعم انها تملك الحقيقة المطلقة ويتم فرضها على المجتمع دائماً من خلال القمع والارغام.

الخاتمة :

يعتبر المجتمع المفتوح عند كارل بوبر هو الشكل الأفضل للتعايش السلمي البعيد عن العنف بكل أشكاله، والنموذج السياسي الليبرالي المعبر عن الحالة الواقعية في البحث عن السؤال الوجودي المتعلق بإدارة الشأن العام هذه الحالة التي رأى بوبر أنها تصويب وإعادة توجيه للسؤال الخاطئ الذي أطلقه العديد من المفكرين والفلاسفة والسياسيين الباحثين عن النظام السياسي المثالي ، وعن أفضل حكام لإدارة الشؤون السياسية ، بينما المجتمع المفتوح ليس بحثاً عن أفضل نظام سياسي ،بقدر ما هو بحث عن نظام ينطوي على أدنى مستوى من السلبيات التي تكتنف الأنظمة الأخرى أنها طريقة وأسلوب جديدة للحياة بعيداً عن مظاهر التخلف والتحجر العقلي مجتمع يقوم على احترام حرية الآخر ،وتبني وجهات نظر مختلفة ويؤمن بأن النقد والنقاش الحر هو الوسيلة الأنجح للوصول إلى الحالة المجتمعية الأقل احتواء للشرور والمساوئ.

Research sources and references:

1- Mustafa Adel, Carl Popper, 100 Years of Enlightenment and Freshness of Reason, I1, Beirut, Arab Renaissance House, 2002
2- Popper Karl, Open Society and Its Enemies, C1, Translated by Mr. Nevoy, Enlightenment House for Printing and Publishing, Lebanon, I1, 1998
3- Karl , Popper and Herbert Marcuse , Revolution or Reform , Edited by A . T . Ferguson , 2 nd Edition 1985 , New university press , London .
4- Popper Karl, In Freedom and Democracy, Translation, Aqeel Yusuf Aidan, Dialogue Center for Culture, Enlightenment, Kuwait T1. 2009.
5- Popper Karl, Open Society and Its Enemies, translated by Hossam Nile, Enlightenment House for Printing and Publishing, Lebanon, i1 2015.
6- Popper Karl, In Search of a Better World, Translated by Ahmed Mustager, Egyptian General Book Authority, 2001.
7- Karl Popper, Frame Legend: In Defending Science and Rationality, Translated by Yamina Tarif Al-Kholi, World of Knowledge Series, Kuwait, 2001.
8- Popper Carl, life as a whole solutions to problems, translated by Bahaa Darwish, Knowledge Facility, Alexandria. 1994.
9- Veraband Powell, Science in The Border Society, Translated by Mr. Nifadi, Cairo Supreme Council of Culture, 2000.
10- Popper Karl, 20th century lesson, translation of Zawawi in Goura, Arab House of Sciences, Publications of Difference, Algiers, I1, 2008.
11- Popper Karl , La societe ouverte et ses ennemis , volume 1 , Platon , traduit de 1 anglais Par Jacqueline Bernard et Phili PPe Monod , seuil Paris 1979
12- Popper Carl Summary of the Century, Translated by Angular Begoura, Cairo, i1 2002.
13- Khader Al-Mutbouh: The idea of opening up in the philosophy of Carl Popper, Dar al-Arabiya Science, Beirut, I1, 2009.

14- Fouad Mahmoud Nassif Khair Bey, from absolutism to society (history and open society at Carl Popper), Ministry of Culture publications, Damascus, 2002

Dictionaries :

1- Murad Wahba, philosophical dictionary, Dar Qaba, (Cairo. Egypt), (D,i) 2007.

2- Andre Laland, La land philosophical encyclopedia. T: Ahmed Khalil Ahmed, Aweidat Publications, Beirut Paris) C2, 2001.